الفصل الثالث

جريمة الخمـر

الداهية الثانية التي قد يقع فيها الزوج الذي فشل في حياته الزوجية سواءً بسبب سوء سلوك زوجتـه، أو سـلوك والديـه، أو النشـوء فـي بيـت غيـر متـوازن، أو عـدم مقدرتـه علـى إدارة دفـة السفينة، أو عدم تفهم والديه للوضع الجديد الذي أصبح عليه ولدهما،أو لهذه الأسباب جميعها؛ هي : الخمر.

فبعد أن لجأ إلى التدخين ولم يستطع أن يحل له مشاكله أو ينسيه إياها، فإنـه يلجأ إلـى الحل الثاني في نظره وهو تناول الكحول؛ التي تغيب العقل عن الواقع، وتنسيه العالم من حولـه لفترة معينة.

وقد يرى أن الحل في ذلك، وبدلاً من أن يواجه مشكلاته، ويحاول إيجاد الحلول لها، يهرب منها، وينساها، وعندما ينتهي مفعول الشراب ينتبه لنفسه ويعود لـه عقلـه، يجد أن الوضـع قد تفاقم، والمشكلات قد زادت وتعقدت فيضـجر و ييأس من الحل، فيعود إلـى الشرب لينسـى، وهكذا.

و في أحد الأيام الخوالي، حينما كان الانبهار بالغرب وبكل ما هو غربـي، يأخذ مجراه في هذه الأمة الضائعة، التي نرجو الله تعالى أن تعود إلى رشدها، إذ ذاك جلست في مطعم لتناول وجبة غداء مع صديقين من أصدقاء الدراسة، وبعد قليل جاء ثلاثة شباب فجلسوا على الطاولة المجاورة، وكان أحدهم تظهر عليه علامات التفرنج والانفتاح، وعندما سكبوا الماء ليشربوا، قال هذا " الفِتِحْ" لصاحبيه بتبجُّح وتمدُّح للغرب :

أمّا في الغرب فإنهم لا يشربون الماء وإنما يشربون البيرة، والبيرة فقط، ثم أضاف قائلاً : إن الواحد في منهم ليشرب من 2 – 3 لتر بيرة يومياً.

إنها كلمات لا تزال تمر بخاطري فأعجب منها، واحتار في شأنها وشأن صاحبها، وأمام هذه الكلمات لا بد لنا من الوقوف قليلاً، وإبداء عدد من الملاحظات:

1– حـين كـان الغـرب يرسـلون بأبنـائهم إلـى بـلاد الشـرق ليدرسـوا حيـاتهم وأفكـارهم، كـانوا يسمونهم " مستشرقين "، بينما ظهر في ديار الإسلام معجبون بكل ما في الغرب من غث وسمين، وجيد أو رديء، دون تمحيص فالأجدر بنا أن نسميهم " مستغربين ".

2- عندما نرسل أولادنا - فلذات أكبادنا - إلى الخارج دون أن نسلحهم بالعلوم الشرعية الحقيقية، ونبين لهم الصحيح من الخطأ، نكون قد فرطنا في الأمانة ألم يقل سبحانه وتعالى:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾(الأنفال28)

والفتنة هي: الاختبار، فإن علمناهم العلم النافع نكون قد نجحنا في الاختبار، وإن تركنا توجيههم لكل ما ينشر ويقال في وسائل الإعلام دون رقيب أو حسيب، فقد خنا الأمانة وفشلنا في الامتحان.

3- وهل يحق لكل من ذَهَبَ إلى بلد ما أن يعود داعياً لأفكار ذلك البلد، عَجَرها وبَجَرها، وهل يجوز لأصدقائه الذين يسيرون معه أن يسكتوا على خطأه لمجرد لقمة طعام استضافهم عليها ؟!

4-إن المسلم عندما كان يخرج إلى العالم الخارجي، كان ينشر الإسلام بأخلاقه ومعاملاته، ففي إندونيسيا الآن أكثر من مائة مليون مسلم، أسلم أجدادهم على يد التجار المسلمون، أما الآن فإن شبابنا فارغون لدرجة أنهم يعودون إلينا بأفكار البلدان التي ذهبوا إليها، ويدافعون عن هذه الأفكار، وسبب هذا عجزهم عن فهم مبادئ الإسلام السمحة.

وعلى كل حال فلا بد لقلمي ولأقلام جميع المسلمين، ومنابرهم من أن تتطرق إلى هذه الآفة محذرة منها - ومن كل آفة - ولكن بأسلوب الإقناع الذي يجدي ويدخل إلى أعماق النفس البشرية، فيدعوها إلى سواء السبيل.

ولقد مرت سنوات وسنوات، وإذا بي أقرأ في جريدة رسمية، وفي صفحتها الأولى عنواناً مفاده : أن وزارة الصحة قد أصدرت أمراً يحذر فيه من تناول بعض الأدوية لاحتوائها على مركبات البيرة، وذلك لأنها قد تسبب الإصابة بالسرطان.

.... فهنيئاً لهذا المستغرب على حماقته المركبة

وفي بداية هذا الموضوع لا بد لي أن أتعرض لبعض مضار الخمر، وأبدأ بالمضار الصحية، وقبلها سأتكلم بشيء من التفصيل عن بعض الأجهزة الحساسة في جسم الإنسان، ونتذكر نعمة الله تعالى فيه:

الكبد والخنجر المسموم:

لو دخلت شوكة في أحد أصابع اليدين، وكان في هذه الشوكة بعض الجراثيم، فإن الإنسان يتألم عند دخول الشوكة، ولكن الألم يزداد شيئاً فشيئاً فما الذي حدث ؟

إن الجرثومة تبدأ بالتكاثر بطريقة الانشطار كل نصف ساعة 1-2-4-8-16-32-64-132-... وهكذا، فتصبح بالملايين بأقل من 48 ساعة، ولكن الجسم المعافى كالأمة التي لها كرامة، تأبى كل دخيل عليها، إذ تقوم الكريات البيضاء بالدفاع المستميت عن حياض الجسم وشرفه، وإذا بالجراثيم تستعمل (الذيفانات) أي السموم فتدمر الكريات البيضاء التي كانت تلتهم الجراثيم، ويسقط المدافعون عن الجسم صرعى – فيَقتلون ويُقتلون.

وهنا يبدأ الكبد بتزويد الكريات البيضاء بالترياق لمقاومة السموم – وتستمر المعارك، فالجراثيم تستغل الأرض الخصبة- دماء وغذاء – والكرات البيضاء لا تبالي.

ويقوم الجسم بإنتاج الكريات البيضاء وبأنواع متعددة – حسب الحاجة-كما تقوم الغدد الليمفاوية بإيواء الجنود، وحشد الحشود، وإرسالها إلى المناطق المطلوبة.

ويقوم الكبد بإنتاج الراصات ووظيفتها أن تلتصق بالجراثيم، فتجعلها كتلاً بعضها فوق بعض وتأخذها إلى مناطق التقتيل والإبادة.

فإذا ازداد الضغط من الجراثيم فإن الجسم يحمى لذلك(ترتفع درجة حرارته)، وهي وسيلة من وسائل قتل الجراثيم.

فإذا استمرت الجراثيم بالهجوم؛ قام الكبد بإعلان النفير العام، فتقوم جميع العضلات بالامتناع عن الحركة قدر الإمكان؛ لإفساح المجال أمام القوافل العسكرية بالمرور، وأُوقفت المعدة عن تناول الطعام؛ لكي يتفرغ الجسم كله للمقاومة.

وقد يبقى المريض في بعض الأحيان ممدداً على فراشه ما يقارب الشهرين حتى يتم القضاء على العدو قضاءاً مبرماً... شعاره :

لا تسقني ماء الحياة بذلة : بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

وهكذا فإن الكبد يقوم بإدارة المعركة حتى النصر أو الشهادة، دون تردد أو استسلام.

ولكن هل هذه هي وظيفة الكبد فقط ؟

لا، بل إن للكبد خمسين وظيفة أساسية لا حياة للإنسان بدونها، وألف وظيفة ثانوية، يصاب الإنسان بالحرج فيما لو تعطلت واحدة منها.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: من الذي يسمح لأي كان بأن يضربه على كبده بخنجر مسموم؟!

إن الخنجر المسموم الذي يضرب الكبد هو " الخمر " التي نهانا الله عنها والتي لعن من أجلها عشرة أشخاص:

فعن ابْنَ عُمَرَ –رضي الله عنهما– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :لُعِنَتِ الْخَمْرُ عَلَى عَشْرَةِ أَوْجُهٍ بِعَيْنِهَا وَعَاصِرِهَا وَمُعْتَصِرِهَا وَبَائِعِهَا وَمُبْتَاعِهَا وَحَامِلِهَا وَالْمَحْمُولَةِ إِلَيْهِ وَآكِلِ ثَمَنِهَا وَشَارِبِهَا وَسَاقِيهَا" ابن ماجه وأحمد..

ولا يتوقف ضرر الخمر عند هذه الجريمة البشعة بل إن للخمر أضراراً لا تتوقف عند حد، ومنها :

1– له تأثيرات كيماوية على بعض أنسجة الجسم، إذ إن 98% من الكحول يتأكسد في الجسم، ويحتاج 100 سم مكعب من الويسكي من 5–6 ساعات لكي يتأكسد، ثم يتحول إلى حمض الأستيك ثم إلى غاز الفحم.

هذا إذا لم يضاف إليها في المعامل مادة(التيمول) لحفظها وهي مادة للكي ونافخة للبطن.

2– إن الشعور الكاذب بالدفء يجعل الإنسان يتعرق، ويَحْمَرّ وجهه، مما يؤدي إلى ضياع حرارة الجسم الحقيقية، ويصاب الجسم بالنزلات الشعبية وغيرها، وربما يؤدي تكرار ذلك إلى الوفاة.

3– إن 90% من حالات موت السائق بدق العنق الناتج عن اصطدام سيارتين وجهاً لوجه، ناتجة عن حالات السُكر لدى السائقين،

ويذكر أن حصيلة حوادث السيارات ليلة عيد الميلاد في المكسيك في إحدى السنوات كانت مائة قتيل، وكان السبب أولئك السائقين السكارى ناهيك عن الحوادث الغير قاتلة.

وفي إحصائية أخرى أفادت أن 13% من حوادث المرور سببها الخمر.

4– يسبب نقصاً في التغذية وامتصاص الفيتامينات، كما يضعف طلب الجسم للغذاء.

5– في حالة ذهول الإنسان المخمور عن نفسه، فإنه قد يبرد فينتج عن ذلك اضطرابات معدية والتهابات معوية، وإسهال أو إمساك، وغثيان، هذا إذا لم ينم على الرصيف، أو يبول على نفسه، أو يحتضن في حضنه سطل زبالة ويقول له: يا حبيبي.

6– يحدث ارتفاع في ضغط الدم، فإذا كان الشخص مصاباً بهذه الآفة، فقد ينفجر معها شريان في المخ، فكيف يشربها من هو بحاجة إلى الهدوء؟؟

7- دلت الإحصائيات على أن 50% من الأمراض في سويسرا هي نتيجة الإدمان الكحولي.

8- ولا ننسى ما للخمر من تأثير ضار على جهاز مهم جداً من أجهزة الجسم ألا وهو - الكِلْيَة - والتي تقوم بتصفية الدم من البول كل يوم 36 مرة.

9- إن أولاد السكارى ينشأون ضعفاء البنية، ناقصي العقول، ويميلون إلى الإجرام والشر. كما أن الخمور سرعان ما تنتقل إلى حليب المرضع فتؤثر في الرضيع تأثيراً سيئاً.

10- ومن المعروف أن الخمر يؤثر على الجهاز العصبي تأثيراً مؤقتاً بالسُكْر، ولكن الإدمان يؤدي إلى تلف خلايا الأعصاب. ومن ثم فقد يصاب المدمنون بالشلل، ثم عدم التمييز، ثم الجنون.

11- هذا غيض من فيض من أضرار الخمر على أنسجة الجسم المختلفة، وكل هذا مهم، ولكن الهم هو فقد الإنسان لهذه الجوهرة التي أودعها الله فيه فميزته عن الدواب، ألا وهي العقل، بل إن السكران يكون أخس حالاً من شر الدواب.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَآبِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾[55الأنفال].

الخمر ليس تقدماً:

نقول "للمستغرب"في بداية المحاضرة- الذي انبهر بالاختراعات الحديثة: إن الخمر ليست من اكتشافات العلم الحديث، بل إن صناعتها وجدت منذ أقدم العصور، وعلى هذا فهي(رجعية) وليست (تقدمية) -على حسب مصطلحاته.

إن الخمر مأخوذة من التخمر، فقد كانوا يضعون ذلك الطعام الطيب(العنب) في إناء ويعصرونه، ثم يتركونه حتى يتفاعل وتخرج له رائحة منتنة للغاية، وطعم مر ولاذع، بعدما كان من ألذ الطعام، فاستبدلوا الخبيث بالطيب، ثم لما شربوه آلم بطونهم حتى طارت لذلك عقولهم وغابوا عن الصواب...فاستبدلوا أيضاً طيب الكلام والتصرف الحسن، بالسُكْرِ والهذيان، فمن الذي يفضل هذا على ذاك؟! ثم جاءت المصانع الحديثة لتستبدل العنب بمواد عضوية أخرى قد يكون منها الشعير وقد يكون منها قشور البصل، ثم تضاف إليها مواد لا حاجة لذكرها[1].

---

(1)قد تقوم بعض مصانع البيرة بوضع الشعير وغيره في الماء لعدة أيام ثم تأخذ المواد النشوية منه لصنع الخمر، ثم يجفف بعد ذلك،ويعاد بيعه علفاً للحيوانات دون بيان عيبه، وهذا نوع من أنواع الغش، كما إنه ظلم للحيوان الذي يأكل شعيراً، لأنه لا فائدة فيه بل والتبن افضل منه. (راجع إن شئت كتابي إسعافات أولية في الصيدلية النبوية)، وللاطلاع على مزيد من أضرار الخمر على الجسم راجع كتاب: أحاديث في

جولة مع العقل:

إذا كنا نخاف من الخمر على الكبد، أليس من الأولى أن نخاف على العقل من الخمر؟ تلك النعمة الكبرى التي عرفنا بها الله عز وجل، ولولاها لما عرفنا حقاً ولا باطلاً.

ومن المضحك حقاً أن يُضَيِّعَ الإنسان عقله بإرادته، إذ أن كثيراً ممن عندهم حالات نفسية، يرفضون الذهاب إلى الطبيب النفساني للمعالجة –رغم أن مراجعة الطبيب ليس فيها غضاضة – فكيف يلجأ أحدهم إلى تناول مادة تعطل عقله مدة من الزمن هو بأشد الحاجة إليه خلال هذه المدة، أو يتناول مادة – كالأفيون – يظن أنها ستعيد له قواه العقلية، أو كما يقال : تساعده على التفكير.

أليس هذا اتهام لعقله بأنه ناقص؟

إنه لشيء يستحي منه المدخن، فكيف لا يخجل منه شارب الخمر؟

وسأروي بعض القصص التي توضح لكل عاقل سوء تصرف السكران، وإساءته لنفسه، ولكل من يحترمه حال سكره، ويشفق من أن يصفعه أو يركله، أو يطرده من بيته.

قصة أبي هشام:

كنا في آخر السنة الدراسية نسكن في دار أبي هشام ولانشغالنا بالامتحانات النهائية، لا نسأل عن شيء سوى عن الهدوء؛ لتوفير جو الدراسة، وكانت أم هشام هي التي حاسبت زملائي على أجرة الدار، وكنا في كل ليلة نسمع صوت إزعاج من زوجها الذي لم نره ولو لمرة واحدة، وهنا اضطررنا إلى الذهاب إلى أصحاب البيت، وإفهامهم أن الهدوء ضروري لدراستنا فأعلمتنا المسكينة " أم هشام " أن زوجها سائق ويأتي في آخر الليل، فيطلب بعض الحاجات، ويعترض على بعض الأمور مما ينتج عن ذلك بعض الإزعاج.

قمنا بإرشادها إلى تحضير كل ما يحتاجه زوجها عند وصوله إلى البيت، مع ضرورة عدم إخراج أصوات مزعجة لأتفه الأسباب.

هزت المسكينة رأسها، ووعدتنا بتلافي ذلك مستقبلاً ولكن دون جدوى.

وفي أحد الأيام سمعنا أصواتاً عجيبة، فلم نرى أن نتدخل في أمور الجيران الخاصة، وعندما عدت من الامتحان في اليوم التالي، وإذا بالقصة كالتالي:

الصحة، للدكتور نبيل الطويل، وكتاب: الطب محراب الإيمان، وكتاب: بين الطب والإسلام للدكتور خالص جلبي.

"أبو هشام يعود يومياً للدار سكراناً، و يقوم بالإزعاج كعادته، وفي هذه الليلة لم يكتف بإزعاج أولاده وزوجته وجيرانه، بل إنه وقف على البلكون وبال منه، فوقع رذاذ بوله على جاره النائم في الطابق الأسفل، قام جاره مذعوراً، وصعد هو وأولاده إلى أبي هشام، وأوسعوه ضرباً تمنى كل من يعرف أبا هشام أنه مات قبل ذلك اليوم، واضطروا إلى حمله للمستشفى.

ذهبنا إلى بيت أم هشام وكان من جملة ما قالت:

والله يا جيراننا إننا اضطررنا أن نجمع العائلة كلها في غرفتين حتى نتمكن من فصل الغرفتين التي تسكنون فيهما، من أجل أن نوفر للأولاد ثمن الخبز!

والله يا جيران، إنني اسرق من جيب زوجي بعض النقود، لكي آتي بالضروري من الطعام !

والله يا جيران إن ابني رغم إنه مقبول في الجامعة ورغم أن طعامه ومنامه موجود إلاّ انه لا يذهب إليها لأنه لا يملك القسط [2] كما أني أبعثه لكي يعمل هنا وهناك، ليأتي ببعض النقود لإخوته !

هنا شكرنا الله تعالى أن يسر لكل منا والدَين أرسلاه على حسابهما الخاص لكي يكمل الدراسة، خارج البلد بمئات الأضعاف لما قد يحتاجه ابن أبي هشام.

اخوتي الكرام:- ألا ترون معي إلى المصيبة التي وقع فيها هذا المخلوق، وما هي المصائب والإحراجات التي يوقعها على أولاده صباحاً ومساءً... وحتى في ساعات الراحة والنوم.

2- قصة : شاب مؤدب، قوي البنية، يعمل دون كلل أو ملل، كما إنه خجول، نظرت إليه، وإذا بالهموم تركبه من مفرق رأسه إلى أخمص قدمه، قدم لي طعام الغذاء، أول يوم، ثم الثاني، ثم الثالث، فأحببت أن أمازحه لكي أَدخل إلى قلبه وأعرف سبب همه، والحزن الذي لا يفارقه، فقلت له : أيها الشاب هل تسكر ؟! فأنتفض وقال : لا يا سيدي الشيخ، ولاحظت أنه أنكر ذلك إنكاراً شديداً، وسألته نفس السؤال في اليوم التالي، فأجاب بنفس اللهجة وبنفس الأسلوب بعد الغداء جلست معه – وزدت الطين بلة – وقلت له : لماذا لا تسكر ؟

---

(2)كان قسط الجامعة 150 ليرة سورية فقط، وبما أن المنزل قريب من الجامعة فلا يحتاج إلى أجور مواصلات، والأكل والمنام عاديان، فكم هي جريمة هذا السكران مع نفسه وولده وزوجته، وبقية عياله، عدا الجيران.

سؤالي الأول كان عجيباً، وتكراره في اليوم التالي أعجب منه، وأعجب من العجب هو سؤالي له باستنكار لماذا لا يسكر ؟ كاد السؤال أن يذهب عقله مما جعله يبوح لي ويكاشفني بكل هموم قلبه ويقول لي:

يكفي يا سيدي الشيخ إن أبي يسكر، يأتي كل ليلة ثملاً فيدخل إلى الدار فيكسر الصحون والأواني ثم إذا وجد أحداً في وجهه ضربه، ما يضطر إخواني وأخواتي إلى الاختباء هنا وهناك، وبعضهم يهرب إلى بيت الدرج وآخر إلى الشارع أو إلى بيوت الجيران، وأضاف قائلاً :

أنا لا أحب أن أعمل في مطبخ أو مطعم، أنا أحب أن أحمل السلاح كبقية زملائي، ولكنني اضطر إلى العمل في هذا المطعم طيلة أيام الأسبوع شريطة أن أنام في البيت كل ليلة، وسألته لماذا ؟

قال : إن أبي حين يراني واقفاً أمامه على مدخل البيت، فإنه يهابني ويدخل الغرفة المقابلة، وينام، ينام بعد شيء لا يستهان من همهمة وغمغمة، ولكنه على الأقل لا يضرب ولا يكسر.

وأخذت عنوان والده وزرته على أساس أني أريد التأمين على سيارتي– لأنه كان يعمل في مكتب تأمين – وحينما شاهد شيخاً يدخل إلى مكتبه، وقع في حيص بيص، ثم ذهب إلى القهوة المجاورة وشرب فنجان قهوة لكي يصحو من سكره.

وتداولت الحديث مع من كان يعمل في المكتب وتدارست معهم الأمر، وقالوا إنه لا يصحو من سكره. وقبل أن يعود إلى بيته فإنه (يُثقل العيار) أي يزيد السكر، وبعد قليل جاء وجلس، احترمني ولاطفته [3]، واخبرني إنه سيساعدني على عملية تأمين السيارة لكن دون أن أخبره بأني أعرف ابنه، أو اعرف إنه يسكر.

ثم ذهبت استقصي أخباره من ابنه، فأخبرني إنه امتنع عن الخمر وخصوصاً بعد أن اخبره الأطباء بأن معه مرضاً عضالاً، ثم افترقنا كما هي حال الدنيا – دون أن أعلم عن بقية قصته شيئاً.

ولكن... حين نعود إلى ذلك المستغرب في بداية المحاضرة فإني أسأله:

هل هذا ما يتمناه من والده، أو أن تؤول إليه حالته مع أولاده عند كبره ؟

---

(3)يروى ان مالك بن دينار - رحمه الله - أتى على سكير في الطريق يهذي فمسح الزبد عن فمه وقلبه... فلما سؤل عن ذلك، قال: إنه فم يخرج منه لا اله إلا الله، فلما أفاق السكير، اخبر عن ذلك، فما عاد إلى السكر أبدا.

وهل لو كان والده كذلك ... فهل سيبقى يتبجح ويمدح من يشرب البيرة ؟! أم إنه لن يبقى يتهم نفسه " بالتقدمية ".

3- قصة رأس البسيط :

ذهبت مع أصدقائي في رحلة إلى شمال اللاذقية في منطقة (رأس البسيط) وكنا أربعة أشخاص، جلست أنا وآخر في مقدمة الباص، واثنان في الكراسي الخلفية، وفي طريقنا من حمص إلى اللاذقية، وقام بعض الشباب في المقاعد الخلفية يغنون.

وكنت أسمع صوتاً نشازاً. وبعد مسافة استرعى انتباهي كثرة صياح ذلك " النشاز " وعلو صوته، ولم يظهر عليه أنه صوت شاب، ولكنه كان صوت كهل في الأربعين، وبعد قليل استشارني جليسي أن نرجع ونجلس خلف هذا الرجل، ويجلس الآخران في الأمام مكاننا، فوافقت عملاً بالعدالة، وحباً في استكشاف ذلك الصوت " النشاز ".

جلست خلفه وإذا به يغني، ويشرب شراباً أصفر " كبول الحمير" [4] وكانت هذه أول مرة في حياتي أشاهد فيها قنينة خمر، وعرفت بالتالي:

إنه رجل سكير، قام بإنهاء الزجاجة الأولى، ثم بعد قليل أحبّ أن يشرب الثانية : إذ إنه كان محتاطاً لذلك، لكنه لم يستطع أن يفتحها، فأراد أن يناولني إياها لأفتحها، فقلت له:

سأفتحها برأسك، وعندما عرف إني غضبت من تصرفه، وضعها بجانبه ولم يتكلم، وبعد قليل وقف الباص وصعد إليه شاب صغير، فقام السكير بمناداته: ابني بطرس تعال يا حبيبي...

وحين عرف أنه ليس ابنه صار يبكي، وينحب، فأشفقت عليه، وبعد قليل سألته ما قصتك يا رجل؟

فأخبرني إنه من عَمان، تزوج بزوجته الثانية بعد وفاة الأولى، فصارت زوجته الجديدة تشاكس ابنه بطرس [5] وأوقعت أخيراً بينه وبين ابنه مما أدى إلى أن يضربه، وحين رأى

---

(4) قص علي أحد لكهول أنه في صباه طلب منه أحد الجيران أن يأتي له بزجاجة خمر من عند فلان، وفي الطريق قام هذا اليافع بإراقة نصف القنينة وملأ مكانها بولاً، وفي الليل كان جاره يشرب ويقول لزوجته والله يا أم جورج إني لم أذق في حياتي أطيب من هذا الخمر على الإطلاق.

(5)إذاً ليست المشكلة هي تعدد الزوجات، ولكنها مشكلة انعدام التقوى، كما قلنا في كتاب (5 مقالات حول المرأة).

بطرس أن البيت ليس مكاناً مناسباً لإقامته، هرب من البيت ولم يعد إليه والآن خرج والده في أثره ليبحث عنه في كل مكان حتى وصل إلى اللاذقية، التي هي خارج الأردن.

بعد قليل شاهدنا تحت الكرسي كيساً فتحناه فوجدنا جواز سفر ونقوداً وأوراقاً مهمةّ، عرفنا مؤخراً أنها له، أعطيناه إياها، ثم وقعتْ مرة أخرى فأعطيناه إياها، ثم وقعت مرة ثالثة....

وفي الطريق اشترى سندويشاً ليأكله لأنه لا يزال على الريق، وحاول أن يطعمنا فما رضينا، وحاول أن يأكل فما استطاع، ووقف الباص في الاستراحة لم يستطع أن ينزل من الباص فبال على الدرج...

وللقصة بقية، لا نريد إكمالها..لكن السؤال هنا من هو الضائع ؟! ومن الذي يحتاج إلى آخرين ليبحثوا عنه؟![6]

هما طريقان الصبر أو الإدمان

بعد هذه القصص نريد أن نقول: أن هناك مبدءان:

المبدأ الأول: يقول :

كلما أصابك ضيق أو هم، فما عليك إلا أن تتناول كأساً صغيراً من البيرة، فينشرح له صدرك، ويفرح له قلبك... فإذا عثر في الطريق شرب كأساً، وإذا انزعج من فلان شرب كأسان، تشاجر مع فلان شرب ثلاث كؤوس، رسب في الامتحان فشرب أربعة، أغضبته زوجته شرب سطلاً، ضرب ابنه أصبح مدمناً. خرج يبحث عنه صار ضائعاً.

المبدأ الثاني يقول:

أصابته مصيبة، قال إنا لله وإنا إليه راجعون، مُكِرَ به فقال: وأفوض أمري إلى الله، وقع في كرب ففزع إلى الصلاة، وسيدنا إبراهيم عليه السلام، عندما وضع في المنجنيق ليلقوه إلى النار، لم يزد على قوله حسبي الله ونعم الوكيل. [7]

فالفقير يزداد بالخمر فقراً؛ لأنه دفع ثمن زجاجة خمر، وترك طفله دون دواء، وترك عمله فما استطاع أن يأتي لعياله بالخبز.

---

(6)قال أحدهم لرجل كان يغني: إن صوتك نازل في القرآن الكريم، وظن أنه يمدحه وما دري انه يقصد بذلك قوله تعالى: ﴿ إنَّ أنْكَرَ الأصْوَاتِ لصَوْت الحمير﴾

(7)راجع كتاب الأذكار للنووي : واختر منه أوراداً تداوم عليها.أو كتابي خمس حقائق إيمانية.

والذي أصيب بسوء التفاهم مع زوجته، لن ترضى عنه إذا أصبحت غرفته مليئة بالفضلات، والمهموم والمغموم... بدل أن يفكر في مصيبته ويحاول حلها، فإنه يسارع للاختباء خلف سكره وعربدته [8]

والذي يرسب في الامتحان، يجب عليه أن يضاعف جهده في العام القادم، ولا يحاول أن ينجح عن طريق الضياع بالخمر؛ فالمستقبل لا يزال أمامه.

ومن هنا جاءت معجزة الإسلام بالحث على الصبر، والصبر هو غير الاستسلام، قال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً ﴾5المعارج،

فالصبر مع النوم والاستسلام ذل وخنوع، والصبر مع التفكير والتخطيط والاستعانة بالله هو الصبر الجميل وهذا الصبر الذي ليس لثوابه حدود ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (10الزُمر).

فالإسلام يقول لك : إذا وقعت في مصيدة حاول أن تخرج منها واستعمل عقلك، وآخرون يقولون: اسكر حتى يأتي الصياد إليك فيأكلك، وآخر يبدأ ينظُر حوله ويتعجب من جمال خيوط تلك المصيدة، وحسن ألوانها، وآخر ينظر ويتفلسف.

وإذا عرفنا أن الحل الوحيد، والأمثل هو: حل الإسلام، فليأت أصحاب المبادئ الأخرى بما يبرر صحة حلولهم، ومنطقيتها.

في الغرب باطن وظاهر:

ولنعد إلى (المستغرب) من جديد لنسأله، هل الغرب مرتاحون لتناول الخمور، أم أنهم منزعجون منها؟

لقد قام الغرب يبحثون في كل مجالات الحياة، وقامت دولهم بإغداق الأموال الكثيرة على الباحثين، وأعطتهم الحرية في التعبير، وأيدت معنوياتهم بالإجلال والتقدير، وأعانتهم على مقاصدهم بالدعم والتيسير – شأنهم شأن كل أمة تريد الرفعة – بحيث ذكّرونا بأيام هارون الرشيد– ﷺ – وأيام الخلفاء المسلمين الذين لم يألوا جهداً في احترام العلماء، ودعمهم وتقديرهم فماذا كانت حصيلة تجاربهم.

---

(8)قال لزوجته بعد أن عاد من قضاء حاجته، هل يشعل ضوء المرحاض عند فتح بابه ويطفيء عند إغلاقه ؟ فقالت له: لا، فقال لها : إذا اذهبي واشطفي الثلاجة... (أي طهريها بالماء).

لقد وجدوا أن الفائدة كل الفائدة فيما حبب الإسلام تناوله من غذاء: كالحليب والعسل والتمر، وكذلك العنب والتفاح الرمان، والزيتون...الخ. وإن الضرر كل الضرر فيما نهى عنه القرآن الكريم من أطعمه: كالميتة والدم ولحم الخنزير[9].

وحين عرفت " أمريكا " أن الخمر هي أم الخبائث، واقتنعوا بأنها أعظم ضرراً على تلك الدولة الفتية القوية، حاولوا أن يمنعوها، وقاموا بما يلي:

1- سنت قانوناً سنة 1919 يمنع تعاطي الخمر وصناعتها والمتاجرة بها.-

2- استخدمت جميع وسائل الإعلام المسموعة، والمقروءة، والمرئية، للدعاية ضد الخمر.

3- ويقدر ما أنفقته الدولة في الدعاية ضد الخمر بما يزيد على ستين مليون دولار.

4- إن ما نشرته من الكتب والنشرات يزيد على عشرة ملايين صفحة.

5- ما تحملته أمريكا في سبيل تنفيذ قانون تحريم الخمر في مدة أربعة عشر عاماً ما لا يقل عن 250 مليون جنيه.

6- أُعدم خلال هذه الفترة 350 نفس ممن خالفوا الأنظمة.

7- وسجنت لنفس الغاية 335، 532 نفساً.

8- بلغت الغرامات 16 مليون جنيه.

9- صودرت من الأملاك ما قيمته أربعة بلايين و 400 مليون جنيه، مع ملاحظة أن النقود في ذلك الزمن كانت لها قيمة عالية.

ومع كل هذا فقد اضطرت الحكومة الأمريكية عام 1933 إلى إلغاء هذا القانون، وسمي هذا القانون بقانون " الجفاف " تهكماً عليه، ثم عادوا للسكر من جديد، بحيث بقيت للإسلام معجزة التغيير.

فهل عرف ذلك المستغرب أن الخمر ليست تقدماً في الغرب، وإنما هي كما يقال : شرْ لا فكاك منه، والآن :

وبعد هذا فإنني أرحب بأسئلتكم ومشاركاتكم.

المشاركة الأولى: روى النسائي بسنده عن عُثْمَانَ رَضِي اللَّه عَنْه أنه قال: اجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا أُمُّ الْخَبَائِثِ إِنَّهُ كَانَ رَجُلٌ مِمَّنْ خَلَا قَبْلَكُمْ تَعَبَّدَ فَعَلِقَتْهُ امْرَأَةٌ غَوِيَّةٌ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ جَارِيَتَهَا

(9)راجع إن شئت : كتاب الأطعمة القرآنية شفاء وغذاء وكتاب لماذا حرم الله هذه الأطعمة. وكتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين للندوي0

فَقَالَتْ لَهُ إِنَّا نَدْعُوكَ لِلشَّهَادَةِ فَانْطَلَقَ مَعَ جَارِيَتِهَا فَطَفِقَتْ كُلَّمَا دَخَلَ بَابًا أَغْلَقَتْهُ دُونَهُ حَتَّى أَفْضَى إِلَى امْرَأَةٍ وَضِيئَةٍ عِنْدَهَا غُلَامٌ وَبَاطِيَةُ خَمْرٍ فَقَالَتْ:

إِنِّي وَاللَّهِ مَا دَعَوْتُكَ لِلشَّهَادَةِ وَلَكِنْ دَعَوْتُكَ لِتَقَعَ عَلَيَّ أَوْ تَشْرَبَ مِنْ هَذِهِ الْخَمْرَةِ كَأْسًا أَوْ تَقْتُلَ هَذَا الْغُلَامَ قَالَ فَاسْقِينِي مِنْ هَذَا الْخَمْرِ كَأْسًا فَسَقَتْهُ كَأْسًا قَالَ زِيدُونِي فَلَمْ يَرِمْ حَتَّى وَقَعَ عَلَيْهَا وَقَتَلَ النَّفْسَ فَاجْتَنِبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا وَاللَّهِ لَا يَجْتَمِعُ الْإِيمَانُ وَإِدْمَانُ الْخَمْرِ إِلَّا لَيُوشِكُ أَنْ يُخْرِجَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ"[10].وشكراً.

شكراً يا أخي الكريم ونستفيد من هذا الخبر عدة أمور:

أولها: أن هذا الإنسان ظن أن الخمر هي أهون الأشياء الثلاثة؛ لأنها ليس فيها اعتداء على عرض ولا نفس، ولكنها باعتدائها على العقل قد أفضت إلى كل المحرمات، ذلك لأن العقل هو الذي يعقل أي يمنع الإنسان من التصرف الخاطئ.

ثانياً: العجب من هذا الذي ترك العبادة لأجل الشهادة.

ثالثاً: كان الأجدر بهذا الإنسان أن لا يذهب أصلاً عملاً بقوله :ﷺ:" دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ [11].

رابعاً: إن بعض الفساق لا يكتفي بأن يكون فاسقاً في نفسه، بل يحاول أن يجر غيره إلى ذلك، وعلى العاقل أن يحذر.

مشاركة (2) كان في أحد مواقع عملنا شاب لا يصلي، قمت بإرشاده عدة مرات، وفي أحد الأيام وعندما التفتُّ بعد الصلاة وجدته يصلي خلفي، فطرت بذلك فرحاً وسألت من حولي كيف كانت هذه الهداية دفعة واحدة ؟ قالوا :

لقد انقلبت سيارة الشحن بهم أربع مرات وعادت واقفة كما كانت، ولكن أحداً منهم لم يصب بأذى، فحمدت الله على سلامتهم، وحمدت الله على هداية هذا الشاب للصلاة كبقية زملاءه.

وبعد أسبوعين زرتهم مرة ثانية، وإذا به قد ترك الصلاة، فقلت له يا هذا إن انقلاب السيارة وعودتها كما هي إنما كان ذلك إنذاراً لك قبل موتك، فإياك ثم إياك أن تترك الصلاة مهما كان

---

(10) رواه النسائي في كتاب الأشربة برقم(5666) وانظر أيضاً: تفسير القرطبي 55/3.
(11) رواه البخاري تعليقاً في كتاب البيوع، ورواه الترمذي في كتاب صفة القيامة برقم(2518) وقال: حديث حسن صحيح.

شغلك ومهما كان ذنبك لكن دون جدوى، بعد أسبوعين آخرين، جئت إلى نفس الموقع وسألت عن الشاب فأخبروني إنه قد توفي، قلت لهم:

وما هي طريق الوفاة، قالوا : لقد حاولنا إيقاظه في الصباح ولكن وجدناه ميتاً كان أقاربه يهددون بالانتقام، وطلبوا تشريح الجثة، وعندما جاءت نتيجة التشريح تفيد: إنه مات بفعل سكره الشديد، نكّسَ أقاربه رؤوسهم ذلاً وخجلاً، وعندما ذاع الخبر في البلد، كان أقاربه شديدي الخجل، من همزات ولمزات المعزين، فكان المعزي يقول بلسانه:

أعظم الله أجركم، وكان قلبه يقول : العار لكم ولمن مات منكم... شكراً.

شكراً يا أخي الكريم : نعم... إن السُكْر يؤدي إلى الشعور بالدفء الكاذب، وينام الإنسان دون أن يعبأ بالبرد القارص فيصاب بالذبحة ويموت، علماً بأن الإنسان يبعث على ما مات عليه، فنسأل الله تعالى حسن الختام [12].

مشاركة (3) : سمعت بأن شاباً هاب ليلة الزفاف، فأرشده مجرم إلى أن يشرب الخمر، ويسقي زوجته، ففعل، وبعد أن سَكِر أراد أن يذهب إلى الحمام، وعند رجوعه تاه عن الغرفة ونام بغيرها، عاد صاحب الغرفة فوجد رجلاً نائماً على وجهه، وبما أن صاحب الغرفة سكران– أيضاً– فقد ذهب إلى الغرفة المجاورة التي فيها العروس.

وفي الصباح وحينما أفاق الجميع من سكرهم، رفضت العروس العودة مع زوجها، وأصرت على الزواج من الرجل الذي لم تعرفه إلاّ في تلك الليلة، قائلة :

إنها ترفض الزواج من رجل نذل، كذب عليها حينما سقاها الخمر على أساس أنه شراب طاهر، وخائن حين لم يخبرها بأنه جبان ويسكر،

وبالفعل فقد تزوجت من الرجل الثاني؟ وشكراً.

شكراً يا أخي الكريم: والحقيقة إن استشارة أهل المعاصي هي معصية بحد ذاتها، ولو استشار أهل الحكمة والخبرة لما وقعت هذه المأساة.

مشاركة (4) حدثني أحد أصدقائي فقال:كنت في صباي أخالط قوماً يتهمون أنفسهم بالحب والسلام والرحمة والشفقة، ولكن الحقد كان يملأ قلوبهم:

---

(12)راجع مقالة ما الذي يمنعك من الصلاة يا مسلم في كتابي 5 مقالات من الفكر والقلب).

﴿ هَاأَنْتُمْ أُوْلَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنْ الغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾119آل عمران.

وفي أحد الأيام دعاني أحدهم : فاعتذرت له، فقال : أنت لا تريد أن تلبي الدعوة كي لا تدعونا، فخجلت، وذهبت معه ويا ليتني لم أفعل: ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾37 الأحزاب.

وعندما دخلت إلى بيته، وجلست في غرفة الاستقبال، وبعد قليل جاء للسلام علي ثلاث فتيات ما أجملهن ظاهراً، وما أخبثهن باطناً، فسلَّمنَ عليّ باليد، وخجلاً فقد مددت يدي للسلام، وخالفت الشرع، ويا ليتني لم أفعل، قال الخنوص[13]:

أُعَرِّفُكَ على أخواتي فلانة 14 سنة والثانية 16 سنة والثالثة 18 سنة جلسن على الكراسي بلباس مخزي، وصار الشيطان يأمرني بمخالسة النظر، وبعد قليل جاءوا لي بشراب، فخفت أن يكون خمراً فقلت: ما هذا ؟! وبتمثيل خسيس متناسق ضحكت البنات الثلاث، فخجلت وشربت.

وبعد فترة جاء صديقي لزيارتنا، ثم ذهبت لزيارته، لا حباً به، ولا بخمره، ولكن حباً بالصبايا، اللواتي عنده، ولكن لم يكن هناك أحد من الصبايا، أسقاني مرة أخرى، وبعدها جاءت العطلة وصرت أشرب لوحدي، حتى يسر الله لي أحد العلماء الأفاضل الذين بينوا لي أن كل ما حصل هو تمثيل ومؤامرة، وبعدها تذكرت قول الله تعالى:

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[217] البقرة، وشكراً.

شكراً يا أخي العزيز فالمكر بالمسلمين هو ديدن أهل الشر، ويجب على الإنسان أن يكون حذراً.

مشاركة (5) : جاء رجل مع حماره المحمل بالقمح إلى الطاحونة، وكان صاحب الطاحونة أميراً غنياً مترفاً، وكانت ابنته تطل من الشرفة فرأت هذا الرجل منهمكاً، ما بين حمل القمح، إلى ربط الحمار، إلى المحافظة على الدور، فضحكت، فظن المسكين أن ابنة الأمير تضحك له، أخبر أقاربه بأنه يحب ابنة الأمير، وأن ابنة الأمير تضحك له، عندما جلست الجاهة في

(13)الذي لا يغار على عرضه هو الخنزير، وأما الخنوص فهو الخنزير الصغير.

بيت الأمير وطلبوا ابنته لهذا الفلاح، وأخبروه بحب ابنته للفلاح، فعجب الأمير لذلك، واستأذن وذهب إلى ابنته وسألها هل تعرفين هذا الرجل؟ وهل ضحكت له حقاً؟

فقالت : يا أبي إنني ضحكت عليه ولم اضحك له، وشكراً.

شكراً يا أخي الكريم، ويجب علينا أن نفكر ملياً فيمن يضحك في وجوهنا؛ لنعرف هل هو يضحك لنا أم يضحك علينا.

إذا رأيت نياب الليث بارزة:فلا تظنن أن الليث يبتسم.

س1: قرأت في كتاب: "نور اليقين " ان الخمر قد حرمت بعد غزوة حمراء الأسد، ويقول صاحب الكتاب في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾(219البقرة. بقوله:" ومنفعة الخمر: تقوية الجسم"، فما مدى صحة ذلك ؟

الجواب : في قول الإمام مالك– رحمه الله –: كل إنسان يؤخذ منه ويرد عليه إلاّ صاحب هذا القبر، أي النبي ﷺ، لقوله تعالى:

﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنْ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾3النجم،

ولذلك فإن صاحب هذا الكتاب – رحمه الله – قد أجاد وأفاد، ولكن وقعت منه هذه الهفوة التي لا يكاد يسلم منها أحد، وكم تمنيت على من حقق هذا الكتاب مؤخراً أن يتعرض لهذا الموضوع ولكنه أيضاً، لم يفعل.

وفي الأضرار التي تعرضنا لها ما يكفي لمن أراد الفهم والاعتبار.

س2 : بعض الناس يقولون إن الله تعالى لم يحرم الخمر نصاً فما مدى صحة ذلك؟.

جـ2 : قال تعالى:﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾سورة الأعراف آية(33)

والإثم هو اسم من أسماء الخمر، قال الشاعر:

شربت الإثم حتى ضل عقلي : كذاك الإثم تذهب بالعقول

ثم إن بلاغة القرآن قد جعلت للتحريم عشرة أوجه[14] فلو قال لك إنسان: أنا لم اقل لوالدي أف، ولكنني ضربته ضرباً مبرحاً فهل يكون هذا الولد عاقاً أم لا؟ الجواب: إنه عاق طبعاً، فإذا قال الله تعالى:﴿فَاجْتَنِبُوه﴾ فمن باب أولى أن يكون حراماً، وكلمة اجتنبوه، هي أشد أنواع التحريم، ألم تسمع قول الله تعالى﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُواْ قَوْلَ الزُّورِ﴾ الحج

[14] راجع إن شئت كتابي خمس مقالات في مداخل الإيمان.

آية(30).فليس هناك مسلم يقول بأن عبادة الأوثان، وشهادة الزور حلال، ثم ألم يدع سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأبلغ دعاء فقال: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾سورة إبراهيم آية(35).والاجتناب هو أعظم من التحريم.

ثم إننا بعد كل هذا التوضيح والتفهيم، لا نظن أن عاقلاً يشك في تحريم الخمر.

والحمد لله رب العالمين.